❁ الأسماء والصفات ❁

(١٠٤) يسأل السائل عن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في إثبات الصفات لله -عز وجل-؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أهل السُّنَّة والجماعة -جعلنا الله منهم- أشدُّ الناس تعظيمًا لله -عز وجل-، وأشد الناس احترامًا لنصوص الكتاب والسُّنَّة، فلا يتجاوزون ما جاء به القرآن والحديث من صفات الله -عز وجل-، فيثبتون لله -تعالى- ما أثبته الله لنفسه وإن حارت العقول فيه، وينفون ما نفى الله عن نفسه وإن توهمت العقول ثبوته.

مثال ذلك: أن الله -عز وجل- فوق كل شيء أزلًا وأبدًا، وهو -سبحانه وتعالى- له العلو المطلق في كل وقت وحين، فوق سمواته، فوق مخلوقاته، مستوٍ على عرشه، ثبت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- «**أنه ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر**»[(١)]، فيأتي الشيطان للإنسان ويقول: كيف ينزل وعلوه لازم له؟ كيف ينزل؟ فنقول: هذا يحار فيه العقل، لكن يجب علينا أن نصدق ونقول: الله أعلم بكيفية هذا، نؤمن بأنه ينزل ولكن لا نعلم بالكيفية، لأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

ولهذا قال بعضهم: إن القرآن والسنة أتى بما تحار فيه العقول، لا بما تحيله العقول، فالواجب علينا في أسماء الله وصفاته تصديقها والإيمان بها، وأنها حق وإن حارت عقولنا في كيفيتها، فالجادة لأهل السُّنَّة والجماعة أن كل ما سمى الله به نفسه أو وصف به نفسه، سواء في القرآن أو في السُّنَّة، فإنه يجب الإيمان به وتصديقه.

قوله -تعالى-: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] يأتي الإنسانَ الشيطانُ فيقول: كيف يجيء؟ فنقول: يجيء على الكيفية التي أراد الله، الكيف

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة آخر الليل، رقم (١١٤٥)، مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب والدعاء والذكر آخر الليل، رقم (٧٥٨).

مجهول، يجب عليك أن تؤمن بهذا حتى لو حار عقلك به، مأمور بأن تصدق على كل حال، ولذلك ضل قوم حَكَّمُوا عقولهم في أسماء الله وصفاته، فأنكروا ما أثبته الله لنفسه، وحرَّفوا به نصوص الكتاب والسُّنَّة، فقالوا: إن معنى قوله -تعالى-: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: استولى على العرش. فسبحان الله! كيف يقول -عز وجل-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أفيمكن أن نقول: إنه قبل ذلك ليس مستوليًا عليه؟ هذا أمر ينكره العامي فضلًا عن طالب العلم، لكن إذا حكم الإنسان عقله في الأمور التي تتوقف على الخبر المحض ضلَّ وزَلَّ.

ولهذا ننصح إخواننا الذين يقولون: استوى بمعنى استولى، أن يتوبوا إلى الله -عز وجل-، وأن يؤمنوا بأنه استوى على العرش، أي: علا عليه علوًّا خاصًّا يليق بجلاله وعظمته، وليعلموا أن الله سائلهم يوم القيامة عما اعتقدوا في ربهم -عز وجل-، وهل اعتقدوا ذلك بناء على كتاب الله وسنة رسوله، أو بناء على ما تقتضيه أهواؤهم وعقولهم؟ إن نصيحتي لهؤلاء أن يتوبوا إلى الله، وأسأل الله أن يتوب عليهم ويوفقهم للحق، فليؤمنوا بما جاء في كتاب الله على مراد الله -عز وجل-.

وكذلك أنصح من قالوا: إن الله ليس عاليًا بذاته فوق المخلوقات، وقالوا: لا يجوز أن نقول: إن الله فوق، فنقول: توبوا إلى ربكم، أنتم الآن تدعون الله وتجدون قلوبكم مرتفعة إلى فوق، وتمدون أيديكم أيضًا إلى فوق، دعوكم وفطرتكم فقط، واتركوا عنكم الأوهام والأشياء التي تضلكم، وإذا أنكرتم علو الله وقلتم: إنه بذاته في كل مكان، فكيف يليق هذا؟ أيليق أن يكون الله تعالى في حجرة ضيقة؟ ألا فليتق الله هؤلاء، وليتوبوا إلى الله من هذه العقيدة الفاسدة الباطلة، أخشى أن يموتوا فيلقوا ربهم على هذه العقيدة فيخسروا.

***

(١٠٥) يقول السائل س. أ. ن من موريتانيا: فضيلة الشيخ أريد أن أعرف الفرق بين أسماء الله وصفاته مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الفرق بين الاسم والصفة ظاهر، فإذا قلت مثلًا: السميع، فالسميع اسم والصفة السمع، وإذا قلت: البصير فالبصير اسم والصفة البصر، وإذا قلت: العلي فالعلي اسم والعلو صفة، وإذا قلت: الحكيم فالحكيم اسم والحكمة صفة، وهلم جرًّا.

فهذا هو الفرق، فالاسم ما تسمى الله به، والصفة ما اتصف الله به، وهي المعنى القائم بالله -عز وجل-.

وهناك صفات ليست صفات معانٍ مثل اليد، فلله تعالى يدان اثنتان، قال الله -تعالى-: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]. **والعين، فلله -تعالى- عينان،** كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى**»(١)، وما أشبه ذلك مما جاء في الكتاب والسُّنَّة، فهذه الصفات وأمثالها ليست صفات معانٍ، ولكنها صفات مسماها بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء.

***

(١٠٦) يقول السائل من جمهورية مصر العربية: ما هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات؟ نرجو الإفادة جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله وصفاته أنهم يثبتون لله تعالى كل ما أثبته لنفسه من الأسماء، وكل ما أثبته لنفسه من الصفات، على وجه ليس فيه تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

ولنضرب لهذا مثلًا: قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، رقم (٣٤٣٩)، مسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رقم (١٦٩).

ﭐسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] فيقول أهل السُّنَّة والجماعة: إن معنى الآية الكريمة أن الله استوى على العرش، أي: علا عليه، لكن كيف علا؟ الله أعلم، لا نكيف صفاته لكن نؤمن بمعناها، فنقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أي: علا عليه علوًّا يليق بجلاله وعظمته.

أهل السنة يجتنبون طريق أهل البدع الذين يحرفون الكلم عن مواضعه فيقولون: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أي: استولى. ولا شك أن هذا صرف للكلام عن ظاهره بلا دليل، ولا شك أيضًا أنه يستلزم لوازم باطلة، لأننا إذا قلنا: استوى بمعنى استولى، لزم أن يكون العرش قبل خلق السماوات والأرض مِلْكًا لغير الله، وأن الله استولى عليه بعد ذلك، ولزم أيضًا أن يقال: إنه يصح أن تقول: إن الله استوى على الأرض، لأنه مستولٍ عليها، وهذا أمر باطل.

ومثال ثانٍ: قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] قال أهل التعطيل الذين يحرفون الكلم عن مواضعه: المراد بوجه الله ثوابه، وليس المراد به وجهه الذي هو صفة من صفاته -عز وجل-، من صفاته الخبرية التي لا مدخل للعقل فيها وليست معنوية، بل هي صفة خبرية، نظيرها بالنسبة لنا بعض منا وجزء منا.

فيقال: هذا خلاف ظاهر الآية الكريمة، وخلاف ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى من بعدهم، فوجه الله -تعالى- هو وجهه، والثواب شيء آخر، ثم أين المقارنة: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] أين المقارنة بكون المراد العمل؟ هل هذه الآيات لا تناسب ما قبلها حتى يقال: إنها من العمل، أي: لا تناسب ما قبلها من حيث تفسيرها بالثواب.

ومن ذلك أيضًا قول الله -تبارك وتعالى- لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] قالوا: المراد باليد هنا القدرة. فيقال: سبحان الله!

كل البشر خلقهم الله بقدرته، ثم هل القدرة تتبعض وتتعدد؟ القدرة صفة واحدة، يستطيع بها القادر أن يفعل بلا عجز.

وقِسْ على هذا كثيرًا، فأهل السُّنَّة والجماعة يقولون: كل ما سمى الله به نفسه فالواجب علينا إثباته، وكل ما وصف الله به نفسه فالواجب علينا إثباته، لكن يجب أن يكون إثباتنا هذا منزهًا عن التمثيل وعن التكييف، بمعنى: أن نثبت لله هذه الصفة وننفي أن يكون مماثلًا للعباد في هذه الصفة، وكذلك نثبت هذه الصفة ولا نكيفها، لا نقول: كيفيتها كذا وكذا. ولهذا لما سأل الإمام مالكًا رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرُّحَضَاءُ، ثم قال: «يا هذا الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: الكيف غير معقول. يعني: لا يمكن أن ندركه بعقولنا، وإذا كنا لا ندركه بعقولنا لزم أن نعتمد في ذلك على النقل، ولم ينقل لا في القرآن ولا في السنة كيفية استواء الله -تبارك وتعالى- على عرشه، وعلى هذا فتكون كيفية الاستواء مجهولة، وليست معلومة لنا.

***

(١٠٧) يقول السائل أ. من المغرب: ما هو منهج أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات؟ نرجو من فضيلة الشيخ الإجابة مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال سؤال عظيم، ومنهج أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات منهج وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل.

فأهل التمثيل قوم أكدوا لله الصفات، لكن بالغوا في إثباتها وغَلَوْا في ذلك، وجعلوها من جنس صفات المخلوقين، فانحرفوا بذلك عن الصراط المستقيم، لأن الله -سبحانه وتعالى- يقول في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ويقول -جل ذكره-: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. ويقول -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤] ويقول -عز وجل-: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

والقسم الثاني معطلة: عطلوا الله -سبحانه وتعالى- من صفاته التي أثبتها لنفسه، ونفوها عنه، وحرفوا من أجل ذلك نصوص الكتاب والسُّنَّة، وعطلوها من المراد بها بحجج هي شُبَه في الحقيقة وليست بحجج، حكموا في ذلك عقولهم، وجعلوا يثبتون لله ما اقتضت عقولهم إثباته، وينكرون ما لم تقضِ عقولهم إثباته، فظلموا في ذلك وصاروا هم الحاكمين على الله، وليس كتاب الله هو الحاكم بينهم، فأنكروا ما وصف الله به نفسه وقالوا: ليس لله وجه، ليس لله عين، وليس لله يد. وقالوا أيضًا: ليس لله فَرَحٌ، وليس لله غضب، وليس لله عَجَبٌ.

وقالوا أيضًا: ليس لله فعل، لا استواء على العرش، ولا نزول إلى السماء الدنيا، بل بالغوا حتى قالوا: إن الله ليس عاليًا فوق خلقه، و إنما علوه علوُّ صفة وعلو معنوي، وليس علوًّا ذاتيًّا.

وبالغ بعضهم فقالوا: إن الله -سبحانه وتعالى- لا يقال إنه فوق العالم، ولا تحت العالم، ولا يمين ولا شمال، ولا متصل ولا منفصل، وأتوا بأقوال يعجب منها المرء ويقول: كيف يكون هذا مقتضى العقول؟.

أما أهل السُّنَّة والجماعة فإنهم يثبتون لله -تعالى- ما أثبته من الأسماء والصفات إثباتًا حقيقيًّا، مع نفي المماثلة -أي: مماثلة المخلوقين- فيقولون: نثبت لله كل ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، أي: فيثبتون لله الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، ويثبتون لله الأفعال المتعلقة بمشيئته، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والإتيان للفصل بين العباد، ويثبتون لله الفرح والضحك والعجب، ويثبتون لله الحكمة، والرحمة، وغير

ذلك مما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-، لكن من غير تحريف ولا تعطيل.

ويقولون لهؤلاء الذين أنكروا ما أثبته لله لنفسه، وحكموا على الله بعقولهم: إننا إذا سلمنا جدلًا أن ما نفيتموه لا يدل عليه العقل، فإنه قد دل عليه السمع، والسمع دليل شرعي نتفق وإياكم عليه، على أن الكتاب والسُّنَّة هما الدليلان بإثبات ما أثبته لنفسه، ونفي ما نفاه عن نفسه، وكونكم تقولون: إن إثبات شيء ما من هذه الصفات يقتضي التمثيل والتشبيه، نقول لكم: وأنتم حين أكدتموه يقتضي على قاعدتكم أنكم مشبهة ممثلة. فأي فرق بين من يقول: إن لله سمعًا وبصرًا، ومن يقول: إن لله رحمة وإن لله وجهًا، وإن الله استوى على العرش؟ إن كان ما أكدتموه لا يدخل في التمثيل فما أكدناه نحن لا يدخل في التمثيل، وإن كان ما أثبتناه يقتضي التمثيل فما أثبتموه يقتضي التمثيل، والتفريق بين هذا وهذا تَحَكُّم وتناقض، والواجب على المرء أن لا يتقدم بين يدي الله ورسوله لنفي ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله، أو إثبات مالم يثبته الله لنفسه ولا أثبته له رسوله.

فالواجب في باب الأسماء والصفات أن يُتَلَقَّى من الكتاب والسُّنَّة، لأنه من الأمور التي لا مجال للعقل فيها، والعقل لا يدرك ما يجب لله من الأسماء والصفات أو يجوز أو يمتنع، وإن كان العقل قد يدرك من حيث الإجمال أن الله موصوف بصفات الكمال ولا بد، ولكن تفاصيل ذلك لا تعلم إلا عن طريق السمع.

وخلاصة القول: أن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة هو إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ونفي ما نفى الله عن نفسه من الصفات، والسكوت عما لم يرد به نفيٌّ ولا إثبات، لأن هذا هو مقتضى السمع ومقتضى العقل، فنسأل الله -تعالى- أن يَتوفانا على عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

***

(١٠٨) **يقول السائل وهو سوداني يعمل بالرياض: فضيلة الشيخ أريد أن أعرف مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الصفات مأجورين.**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسول الله ﷺ قبول هذا الوصف، والإيمان به، واعتقاد أنه حق على حقيقته، إلا أنهم ينزهون الله -تعالى- عن أي نقص في هذه الصفة، أو عن مشابهة المخلوقين فيها. فيؤمنون مثلًا بقوة الله، ويؤمنون بأن هذه القوة لن يلحقها ضعف، ويؤمنون بأن هذه القوة لا تشبه قوى المخلوقين، مهما اجتمعوا وكثروا فإن قوتهم لن تكون مثل قوة الله -عز وجل-، وأن لله -تعالى- يدًا حقيقية، ويؤمنون بأن هذه اليد قوية عظيمة، قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال -تعالى-: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ويؤمنون بأن هذه اليد لا تماثل أيدي المخلوقين، لقوله -تعالى-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

فالقاعدة إذًا فيما جاء من صفات الله -عز وجل- في القرآن أو السنة: الإيمان بذلك، وقبوله، وتنزيه الله -سبحانه وتعالى- عن أي نقص فيه، وتنزيه الله -تعالى- أن يكون مماثلًا للمخلوقين فيه، هذه هي السبيل التي درج عليها أهل السُّنَّة والجماعة من سلف هذه الأمة وأئمتها، ولهذا كانوا يقولون في آيات الصفات وأحاديثها: أمروها كما جاءت دون كيف.

وسئل الإمام مالك رحمه الله عن الاستواء فقيل له: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]كيف استوى؟ فأطرق رأسه حتى تصبب منه العرق، ثم قال: «**الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**». قال: الاستواء غير مجهول، لأنه معلوم في اللغة العربية أن معنى استوى على كذا أي علا. والكيف غير معقول، أي: غير مدرك بالعقل، لأنه

فوق ما تتصوره عقولنا. والإيمان به واجب، لأن النص ورد به، فقد ذكر الله استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه. والسؤال عنه بدعة، أي: السؤال عن كيفيته بدعة لا عن معناه، فإنه لا حرج على الإنسان أن يسأل عن معنى آيات الصفات وأحاديثها، لأن هذا من الأمور التي يمكن الوصول إليها، أما الكيفية فلا يجوز السؤال عنها، لأنها من الأمور التي لا يمكن الوصول إليها، ولم تكن من عادة السلف، ولهذا قال رحمه الله: السؤال عنه بدعة.

وهكذا نقول في سائر الصفات: إنها معلومة المعنى مجهولة الكيفية، وإن الإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة. فنقول مثلًا في العين: إن معناها معلوم، وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة.

وهكذا نقول في الوجه، وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسُّنَّة من صفات الله: إنه معلوم المعنى، مجهول الكيفية.

***

(١٠٩) يقول السائل من السودان: حدثونا عن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات التي ذكرت في الكتاب والسُّنَّة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات التي ذكرت في الكتاب والسُّنَّة هو الكلمة المشهورة: أمروها كما جاءت بلا كيف، وأنه يجب الإيمان بها والتصديق، واعتقاد مقتضاها من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، فلا يجوز أن يحرف الكلم عن مواضعه، فيقال مثلًا: المراد باليدين القوة أو القدرة أو النعمة، ولا يجوز أيضًا أن يُحَرِّفَ الوجه عن معناه فيقال: المراد بالوجه الثواب أو ما أشبه ذلك، ولا يجوز أن يحرف استواء الله على العرش إلى استيلائه عليه فيقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أي: استولى، ولا يجوز أن يحرف نزول الله إلى السماء الدنيا بنزول أمره أو نزول رحمته، أو نزول ملك من ملائكته، ولا يجوز أن يُحَرَّفَ قوله -تعالى-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾

[الأنعام: ١٥٨] إلى أن المراد إتيان شيء من آياته، ولا يجوز أن يُحَرَّفَ قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤] إلى أن المراد بذلك علمنا أو ما أشبه ذلك.

المهم أن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة هو إبقاء النصوص على ظاهرها اللائق بالله -عز وجل-، كما أنه لا يجوز عندهم التمثيل، أي: أن تمثل هذه الصفات بصفات المخلوقين، فيقال مثلًا: إن وجه الله -تعالى- كوجوهنا، أو يده كأيدينا، أو عينه كأعيننا، أو نزوله كنزولنا، أو استواءه كاستوائنا، كل هذا محرم.

فطريقتهم ما دل الكتاب والسُّنَّة والعقل على أنها حق، وذلك بإثباتها على ظاهرها، من غير تمثيل ولا تحريف.

***

(١١٠) يقول السائل: يا فضيلة الشيخ ما مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات؟ وما معنى أمروها كما جاءت؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات إثبات ما أثبته الله لنفسه في القرآن الكريم، أو صح عن النبي ﷺ في سنته المطهرة، فكل ما جاء في القرآن من أسماء الله وصفاته فهو حق، وكل ما جاء في السنة مما صح عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فهو حق.

ويتبرؤون من أمورٍ أربعة: التمثيل، والتحريف، والتعطيل، والتكييف. فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، ولا يحرفون القرآن والسنة عن ظاهرهما بتأويلٍ ليس بسائغ، ولا يعطلون الله -تعالى- من صفاته التي أثبتها لنفسه، ولا يعطلون النصوص من دلالتها التي أراد الله بها، ولا يكيفون صفات الله بصفات خلقه، بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولا يتعمقون في البحث عن أسماء الله وصفاته، بل يسكتون عما سكت الله عنه ورسوله، وعما سكت عنه الصحابة رضي الله عنهم.

ومعنى قولهم: **أمروها كما جاءت بلا كيف**: أبقوا جلالتها على ما هي عليه، وأثبتوا ما دلت عليه من الإثبات، ولا تكيفوا صفات الله بصفات الخلق، أو تكيفوا صفات الله بصفةٍ تتخيلونها وإن خالفت صفة الخلق، لأن الله -تعالى- أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها.

***

(١١١) يقول السائل أ. إ. من دمياط، من جمهورية مصر العربية: سئل أحد السلف رضي الله عنهم عن الأسماء والصفات فقال: أَمِرُّوها كما جاءت. ما معنى ذلك؟ وهل هذا القول منسوب إلى أحد السلف؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا القول منسوب إلى عموم السلف، يقولون في آيات الصفات وأحاديثها: أَمِرُّوهَا كما جاءت بلا كيف، فقولهم: أمروها كما جاءت يعني: لا تتعرضوا لها بتحريف، أي: بتأويل يخرجها عن ظاهرها، ويتضمن هذا القول أيضًا إثبات معانيها، وأنه ليس المراد مجرد إثبات اللفظ، لأن نصوص الصفات في كتاب الله وسُنَّة رسولهألفاظ جاءت لإثبات معناها، لا أن نُمِرَّها على ألسنتنا دون أن نفهم المعنى، فكأنهم يقولون: أمروها على معناها المراد بها لا تغيروها.

وقولهم: **بلا كيف**، أي: لا تكيفوها، وليس المعنى بلا اعتقاد كيفية لها، لأن لها كيفية ضرورة إثباتها، إذ لا يمكن إثبات شيء لا كيفية له، فيكون المعنى: بلا كيف، أي: بلا تكييف لها، لا تكيفوها، لا تقولوا: كيفية وجه الله كذا وكذا، ولا كيفية يديه كذا وكذا، ولا كيفية عينيه كذا وكذا، لأن الله -تعالى- أجَلُّ وأعظم من أن يُدْرِكَ العباد كيفية صفاته.

وفي هذا القول المشهور عن السلف رد على طائفتين منحرفتين: إحداهما: طائفة التعطيل، التي سلبت عن الله -تعالى- جميع معاني صفاته، وجعلتها ألفاظًا لا معنى لها، أو جعلت لها معاني مخالفة لظاهر اللفظ، لأن الذين لم يمروها على ما جاءت انقسموا إلى قسمين: قسم قالوا: لا معنى لها إطلاقًا،

وليس علينا إلا إمرار لفظها دون التعرض لمعناها. وقسم آخر قالوا: نتعرض للمعنى، لكن حَمَلُوا المعنى على خلاف ظاهرها، وأثبتوا لها معاني من عند أنفسهم لا دليل عليها من كتاب الله ولا من سُنَّة رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ولا من أقوال الخلفاء والصحابة. فالأول طائفة المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم من معطلي الصفات، والثانية طريقة الأشاعرة ومن سلك سبيلهم ممن حَرَّفُوا نصوص الصفات إلى معانٍ ابتكروها من عقولهم، ولم ينزل الله بها سلطانًا، ولم يثبتوا إلا ما زعموا أن العقل يدل عليه، كالصفات السبع التي أثبتتها طائفة الأشعرية، وأنكروا من الصفات ما العقل أدل عليه من دلالة العقل على هذه الصفات التي أثبتوها.

على كل حال الجملة الأولى فيها رد على طائفتين:

الأولى: من عطلت المعاني مطلقًا، والثانية من أثبتت معاني لا دليل عليها، وربما تكون الطائفة الثانية أشد مخالفة من الطائفة الأولى، لأن الطائفة الأولى أمسكت وقالت: لا نثبت معنى، فنفت المعنى، وهذا نفي بلا علم بلا شك.

والثانية: نفت المعنى المراد وأثبتت معنى آخر لا يدل عليه اللفظ، فصار في ذلك جنايتان: الجناية الأولى: نفي المعنى الذي هو ظاهر اللفظ، والثانية: إثبات معنى لا يدل عليه اللفظ، نسأل الله الهداية للجميع.

أما قولهم: بلا كيف، فهو رد على طائفة منحرفة على ضد الطائفتين المعطلتين، وهي طائفة الممثلة الذين قالوا: نثبت لله الصفات، ولكنها على مثل ما كان من صفات المخلوقين، فوجه الله تعالى -على زعمهم، تعالى الله عن قولهم- يكون على مثل أجمل وجه بشري، وهكذا بقية صفاته -عز وجل-.

وهؤلاء أيضًا خالفوا قول الله -تعالى- خبرًا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وعصوا أمر الله -تعالى- نهيًا في قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

وخلاصة الجواب أن معنى قول السلف: أمروها كما جاءت: أثبتوا هذه الألفاظ مع معانيها التي دلت عليها، وهو ما يفهم من ظاهرها، على الوجه اللائق بالله -عز وجل-.

وقولهم: بلا كيف، رد على الممثلة، أي: لا تكيفوها، وليس المعنى لا تعتقدوا لها كيفية، لأن لها كيفية، مجرد القول بإثباتها يستلزم أن يكون لها كيفية، لكنها غير معلومة، ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله في استواء الله على عرشه: **«الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»**.

***

(١١٢) يقول السائل: يا فضيلة الشيخ بعض الدعاة يقولون: إنه لا ينبغي أن نُعَلِّم الناس مسائل توحيد الأسماء والصفات، لأنها من المتشابه، ولكن إذا حصل إشكال لهم في أي شيء منها -أي: من الصفات- بَيَّنَّا لهم ذلك، فما رأي فضيلتكم بارك الله فيكم وفي علمكم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أقول: **إن الناس في باب أسماء الله وصفاته ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: طرفان ووسط.**

فطرفٌ يقول مثلما قال هذا السائل عن شخصٍ آخر أنه يقول: لا تُبَيِّنُوا أسماء الله وصفاته، لأنها من المتشابه، ولكن إذا سألوا فأجيبوهم.

وطرفٌ آخر يقول: بَيِّنُوا للناس أسماء الله وصفاته، ثم ما يتفرع على هذه الأسماء والصفات من الإشكالات أوردوه عليهم، أو تعمقوا في جانب الإثبات واذكروا كل شيء، حتى إن بعضهم يقول مثلًا: كم أصابع الله؟ كيف استوى على العرش؟ هل لله أذن؟ وما أشبه ذلك من الأمور التي يجب الإعراض عنها، لأنها لم تذكر في الكتاب ولا في السنة، ولو كان ذكرها مما تتوقف عليه العقيدة الصحيحة لكان الله يبينها لعباده إما في كتابه، أو على لسان رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

والقسم الثالث وسط يقول: عَلِّمُوا الناس ما يحتاجون إليه في هذا الباب، دون أن تتعمقوا وتتكلفوا ما لستم مكلفين به.

وهذا القول هو الصحيح، وهو الراجح، أن نعلم الناس ما يحتاجون إلى معرفته في هذا الباب، وأن لا نتكلف علم ما ليس لنا به علم، بل نعرض عنه، فمثلًا: إذا شاع في الناس مذهبٌ يخالف مذهب السلف، فلا بد أن نُبَيِّنَ للناس مذهب السلف في هذا الباب، لو شاع في الناس أن اليدين اللتين أثبتهما الله لنفسه هما النِّعَم، يجب علينا أن نبين أن هذا خطأ، وأن اليدين صفتان لله -عز وجل-، أثبتهما الله لنفسه، وبين -جل وعلا- أن يديه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، وأخبر النبي ﷺ « **إن الله -عز وجل- يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١).

وأخبر أن «**يد الله ملأى لا تَغِيضُهَا نفقة سَحَّاءَ الليل والنهار**»(٢)، وقال: «**أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟**»(٣)، فإنه لم يَغِض ما في يمينه، وأجمع سلف الأمة على أنهما يدان حقيقيتان ثابتتان لله على وجهٍ يليق به، لكن لا تماثلان أيدي المخلوقين، حتى يزول عن الناس الاعتقاد الذي ليس بصحيح، وهو أنهما النعمتان، هذا لا بد منه.

لكن إذا كنا في قومٍ لم يطرأ على بالهم هذا الشيء، ولو دخلنا معهم في مسائل تفصيلية لحصل لهم ارتداد، أو لدخلوا في أمورٍ يتنطعون فيها، فهنا

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب سورة هود باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، رقم (٤٦٨٤)، مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة، رقم (٩٩٣).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، رقم (٧٤١١).

نأخذ بما جاء عن السلف، وخاصةً عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**ما أنت محدث الناس حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**».[(١)] وقال عليٌّ رضي الله عنه: «**حدث الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكَذَّب الله ورسوله**»؟[(٢)] أما التعمق في الصفات، وطلب ما لا يمكن العلم به، فإن هذا من التكلف والبدعة، ولهذا لما قال رجلٌ للإمام مالك: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ وكان هذا سؤالًا عظيمًا وقع موقعه في الإمام مالك رحمه الله، فأطرق برأسه وجعل يَتَصَبَّبُ عرقًا، ثم رفع رأسه وقال: «يا هذا! الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». يريد بذلك رحمه الله أن الاستواء غير مجهول، معروف استوى على كذا يعني: عَلَا عليه، قال الله -تعالى-: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] يعني: علوت عليه وركبت فيه. وقال -تعالى-: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣] يعني: إذا علوتم عليه راكبين. فاستوى على العرش يعني: علا عليه علوًا يليق بجلاله وعظمته، هذا معنى قوله: الاستواء غير مجهول. والكيف غير معقول، لم يقل رحمه الله: الكيف غير موجود، بل قال: الكيف غير معقول، يعني: هناك كيفية استوى الله عليها لكن لا ندري، عقولنا لا تدرك ذلك، وشرعنا لم يأتِ بها، الكتاب والسُّنَّة ليس فيهما كيفية استواء الله على العرش، وعقولنا لا تدرك هذا، فانتفى عنها الدليلان العقلي والسمعي، فوجب السكوت، فإذا سُئِلْنَا: كيف استوى؟ قلنا: الله أعلم.

الإيمان به واجب، أي: بالاستواء واجبٌ، على ما أراده الله -عز وجل-.

---

(١) أخرجه مسلم: المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، رقم (١٢٧).

والسؤال عنه بدعة، هذا محل الشاهد من كلامنا، لماذا السؤال عن الكيفية بدعة؟ لأن الصحابة -وهم أحرص منا على معرفة الله، وأحرص منا على العلم، وإذا سألوا سَألُوا من هو أعلم منا بالإجابة- لم يسألوا النبي ﷺ، لم يقولوا: يا رسول الله كيف استوى؟ مع أنهم يسألون عن أشياء أدق من هذا، لكنهم يعرفون رضي الله عنهم أن مثل هذه الأمور لا يمكن العلم بها، لذلك لم يسألوا.

أيضًا السؤال عنه بدعة: من سمات أهل البدع، لأن أهل البدع هم الذين يُحْرِجون أهل السنة في ذكر الكيفية، يقولون: كيف استوى؟ كيف ينزل إلى السماء الدنيا؟ يحرجونهم ليقولوا: استوى على الكيفية الفلانية، أو ينكروا الاستواء، أو يقولوا: نزل على الكيفية الفلانية، أو ينكروا النزول، فهو من سمات أهل البدع، السؤال عن كيفية الصفات من سمات أهل البدع، ثم إن السؤال عن الكيفية -كيفية الصفات- من التَّنَطُّعِ في دين الله، وقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون**»[(١)].

وقولنا: إن الصحابة رضي الله عنهم يسألون عما دون ذلك، أستدل له بأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ذكر أن الدجال يخرج ويمكث في الأرض أربعين يومًا، اليوم الأول كسنة كاملة، يعني: اثني عشر شهرًا، واليوم الثاني كشهر، واليوم الثالث كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا. فالصحابة رضي الله عنهم لما قال: يوم كسنة، قالوا: يا رسول الله! هذا اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاةُ يوم واحد؟ قال: «**لا، اقدروا له قدره**»[(٢)]، فتجدهم سألوا عن هذا لأنهم مكلفون بالصلوات الخمس في أوقاتها المعلومة، وهذا اليوم سيكون طويلًا، سيكون اثني عشر شهرًا، هل تكفي فيه خمس صلوات؟ لذلك سألوا، فإذا كانوا لم

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، رقم (٢٩٣٧).

يسألوا الرسول -عليه الصلاة والسلام- فيما يتعلق بصفات الله فإنهم خير سلفٍ لنا نقتدي بهم، ولا نسأل عن كيفية صفات الله، ولا نسأل أيضًا عما لم يبلغنا علمه من هذه الصفات ولا من غيرها من أمور الغيب، كل أمور الغيب الأدب فيها أن يقتصر الإنسان فيها على ما بلغه، وأن يسكت عما لم يبلغه، لأنه لو كان في بيانه خيرٌ لبينه الله ورسوله.

وأما قول السائل: لا تخبروا العوام بها، لأنها من المتشابه. فنقول له: يا أخي ماذا تريد بالمتشابه؟ إذا كانت صفات الله -عز وجل- وكانت نصوصه الواردة فيها من المتشابه فماذا يبقى بيانًا؟ آيات الصفات من أَبْيَنِ الآيات، أحاديث الصفات من أبين الأحاديث، وليس فيها ولله الحمد شك، كلها معناها معلوم، كلها معناها مفهوم بمقتضى اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن، وكيف ينزل الله علينا شيئًا يتعلق بأسمائه وصفاته ونحن نجهله ولا يمكننا الوصول إليه؟ هذا مستحيل، فنقول: إن آيات الصفات وأحاديثها من المعلوم، وليست من المتشابه، فهل يشتبه على أحد قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فلا يدري ما معنى خلق؟ هل يشتبه على أحد قول الله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] أن معناها نفي المماثلة وإثبات السمع والبصر؟ آيات الصفات وأحاديثها ليست من المتشابه.

إن أراد القائل بقوله: من المتشابه، يعني: من الذي يشتبه علينا إدراك كيفيته وحقيقته فهذا صحيح، نحن لا نعلم كيفية ما وصف الله به نفسه وكنهه، لكن معناه واضح، ولولا أن معناه واضح ما استطعنا أن ندعو الله بأسمائه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالمهم أن هذه الكلمة التي أطلقها بعض العلماء على آيات الصفات وأحاديثه وقال: إنها من المتشابه، نقول له: إن أردت أنها من المتشابه معنًى فلا، وإن أردت أنها من المتشابه حقيقةً وكنهًا، وأننا لا ندرك كيفيتها ولا حقيقة

كنهها فهذا حق، وليس بغريبٍ أن نعلم معنى الشيء ولا ندرك حقيقته وكيفيته، نحن نعلم معنى الروح التي بين جنبينا، والتي إذا انسلت من الجسد مات الإنسان، نعم نعلم هذا، لكن هل ندرك حقيقتها وكيفيتها؟ لا أبدًا، نحن نعلم ما ذكر الله عن الجنة بأن فيها من كل فاكهةٍ زوجين ونخلًا ورمانًا وما أشبه ذلك، ولكن هل نحن ندرك حقيقة ذلك وكنهه؟ لا، لأن الله يقول: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، ويقول الله -عز وجل- في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»(١).

المهم التنبيه على هذه العبارة المتداولة في كلمة المتشابه بالنسبة لأسماء الله وصفاته، حيث يتوصل بها أهل التعطيل إلى أن نسلك مسلكًا سيئًا في ذلك، بحيث نفوض العلم بمعنى أسماء الله وصفاته، كما زعم بعض المتأخرين أن مذهب السلف هو التفويض، أي: تفويض القول بأسماء الله وصفاته إلى الله، وألا نتكلم بشيءٍ من معناها، وهذا القول بالتفويض على هذا الوجه قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**إنه من شر أقوال أهل البدع والإلحاد**».

أما تفويض الحقيقة والكُنْهُ فهذا شيء لا بد منه، ولا يضرنا إذا كنا نعلم المعنى، ولكن لا نعلم الكنه والحقيقة التي عليها هذا المسمى والموصوف.

***

(١١٣) **يقول السائل أ. م: هل من أسماء الله (الحق)؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم من أسماء الله -تعالى- الحق، قال الله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الحج: ٦]، ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥]، ولكن نسمع كثيرًا من الناس إذا أراد أن يستشهد بآية قال: قال الحق كذا وكذا، والأولى أن يعبر بما كان السلف يعبرون به فيقول: قال الله

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم (٤٢٤٤)، مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، بابٌ، رقم (٢٨٢٤).

كذا، حتى كان النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا حدث عن الله -عز وجل- بحديث قال: قال الله تعالى، فالذي ينبغي لنا أن نتبع ما كان عليه سلفنا في مثل هذه الأمور، وإذا أردنا أن نستشهد بآية قلنا: قال الله -تعالى- كذا وكذا.

***

(١١٤) **يقول السائل**: هل الحنَّان، والمنان، والمحسن من أسماء الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الْحَنَّانُ لم يثبت أنها من أسماء الله، وأما المنَّان فثابت أنها من أسماء الله، والمحسن أيضًا من أسماء الله -تبارك وتعالى-، ولهذا ما زال الناس يسمون عبد المحسن، عبد المنان، والعلماء يعلمون بذلك ولا ينكرونها.

***

(١١٥) **يقول السائل**: هل الْحَفِي من أسماء الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هو في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، ولا أعلمها وردت مطلقة في أسماء الله -عز وجل-، بل هي مقيدة، وبدلًا من أن يدعو الإنسان بقوله: يا حفي احتفِ بي، يقول: يا رحيم ارحمني، وإذا كان عن ذنب يقول: يا غفور اغفر لي، وما أشبه ذلك.

***

(١١٦) **تقول السائلة: إن أسماء الله وصفاته على وزن فعيل من صيغ المبالغة، فهل هذا صحيح؟ وهل يصح القول بأن أسماء الله وصفاته من صيغ المبالغة؟ نرجو النصح والتوجيه في هذا مأجورين.**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أسماء الله -تعالى- وصفاته التي جاءت في القرآن وغير القرآن منها ما هو صفةٌ مشبهة -ويعني العلماء بالصفة المشبهة: الصفة اللازمة للموصوف التي لا ينفك عنها- وذلك مثل: العزيز، الحكيم، السميع، البصير، وما أشبهها، هذه صفةٌ مشبهة، بمعنى: أنها صفةٌ لازمة لا تنفك عن الله -عز وجل-.

ومن أسماء الله ما يكون صيغة مبالغة، ومعنى صيغة مبالغة أنها دالةٌ على الكثرة، وليس المعنى أنه مبالغٌ فيها دون إرادة الحقيقة، مثل: الرزاق، فإن الرزاق من أسماء الله -سبحانه وتعالى-، وجاء بهذه الصيغة للدلالة على كثرة من يرزقه الله -عز وجل-، فإنه ما من دابةٍ في الأرض إلا على الله رزقها، ولكثرة رزقه الذي يعطيه -سبحانه وتعالى- لمن يشاء، كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: ٢٦]، ولعل الطالبة فهمت من قول الْمُدَرِّسَةِ: صيغة مبالغة، أنها صيغةٌ مبالغٌ فيها ولا تعني الحقيقة، وليس هذا هو المراد، بل مراد العلماء من قولهم: صيغة مبالغة، أنها دالة على الكثرة، وبهذا التفصيل والشرح لمعنى المبالغة يزول الإشكال.

فإذا قلنا مثلًا: إن الرزاق من أسماء الله وهو صيغة مبالغة، فليس معناه أن الله -سبحانه وتعالى- لا يرزق، بل معناه أنه كثير الرزق.

***

(١١٧) يقول السائل أ. م: فضيلة الشيخ ما المقصود من كلام الرسول ﷺ عندما قال: «إنما بعثت رحمة للعالمين»(١)؟ وهل يجوز استنادًا لهذا القول بأن محمدًا ﷺ رحيم أو كريم أو عليم أو حكيم، أو إلى ما هنالك من صفات الله -عز وجل-؟ أفيدونا بما علمكم الله، وجزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما وصف النبي ﷺ بأنه رؤوف رحيم فهذا قد جاء في القرآن الكريم، لكنه مقيد بالمؤمنين، فقال الله -عز وجل-: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وأما كونه رحمة، فقد قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، لكن ليس معنى الآية أنه هو الرحمة، بل معناه

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٧)، أبوداود: كتاب السنة، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم (٤٦٥٩).

أن الله رحم به الخلق، يعني: ما أرسلناك إلا لنرحم الخلق بك، فإن النبي ﷺ هو الدال على الله -عز وجل-، الْمُبَيِّنُ شريعته، الداعي إليها، فكان بعثه وإرساله رحمة للعالمين في الدنيا والآخرة.

وأما قول السائل: وغير ذلك من أوصاف الله وأسماء الله، فلا نقول به، لأن من أسماء الله وأوصافه ما يختص به -عز وجل-: فالله هو الجبار، والمتكبر، والقدوس وما أشبه ذلك مما لا يصح أن يوصف به أحد سوى الله -عز وجل-.

***

(١١٨) يقول السائل م. ص. ع. من حائل: ما حكم التسمية بأسماء هي من أسماء الله أو صفاته، كمثل: رؤوف، وعزيز، وجبار، ونحو ذلك؟ هل تجوز مثل هذه التسمية، أم يجب تغييرها فيمن تسمى بها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التسمي بأسماء الله -عز وجل- يكون على وجهين:

الوجه الأول: أن يحلى بأل، أو يقصد بالاسم ما دل عليه من صفة، ففي هذه الحال لا يسمى به غير الله، كما لو سميت أحدًا بالعزيز والسيد والحكيم وما أشبه ذلك، فإن هذا لا يسمى به غير الله، لأن ال هذه تدل على لمح الأصل، وهو المعنى الذي تضمنه هذا الاسم، وكذلك إذا قصد بالاسم وإن لم يكن محلًّى بأل، إذا قصد بالاسم معنى الصفة فإنه لا يسمى به، ولهذا غير النبي ﷺ كنية أبي الحكم التي تكنى بها، لأن أصحابه يتحاكمون إليه، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: إن الله هو الحكم وإليه الحكم، ثم كناه بأكبر أبنائه شُرَيح، كناه بأبي شريح، فدل ذلك على أنه إذا تسمى أحد باسم من أسماء الله ملاحظًا بذلك معنى الصفة التي تضمنها هذا الاسم فإنه يمنع، لأن هذه التسمية تكون مطابقة تمامًا لأسماء الله -سبحانه وتعالى-.

أما الوجه الثاني: فهو أن يتسمى باسم غير محلًّى بأل، ولا مقصود به معنى

الصفة، فهذا لا بأس به، مثل حكم وحكيم، ومن أسماء بعض الصحابة حكيم بن حزام الذي قال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**لا تبع ما ليس عندك**»(١)، وهذا دليل على أنه إذا لم يقصد بالاسم معنى الصفة فإنه لا بأس به، لكن في مثل جَبَّار لا ينبغي أن يتسمى به وإن كان لم يلاحظ الصفة، وذلك لأنه قد يؤثر في نفس المسمى فيكون معه جبروت وعلو واستكبار على الخلق، فمثل هذه الأسماء التي قد تؤثر على صاحبها ينبغي للإنسان أن يتجنبها. والله أعلم.

***

(١١٩) **يقول السائل أبو بسام من الجزائر: فضيلة الشيخ ما قول أهل السُّنَّة والجماعة في رؤية المسلم لربه -عز وجل- يوم القيامة؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قول أهل السُّنَّة والجماعة في رؤية الله -سبحانه وتعالى- يوم القيامة ما قاله الله عن نفسه، وقاله عنه رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

ففي الكتاب قال الله -تعالى- في كتابه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ناضرة الأولى بمعنى حسنة، الثانية من النظر بالعين، لأنه أضاف النظر إلى الوجوه، فالوجوه محل العينين اللتين يكون بهما النظر، وهذا يدل على أن المراد نظر العين، ولو كان المراد نظر القلب وقوة اليقين لقال: قلوب يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، ولكنه قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالزيادة فسرها أعلم الخلق بمراد الله، رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بأنها النظر إلى وجه الله -عز وجل-، ومن ذلك قوله -تعالى- في الفجار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فحجب هؤلاء الفجار عن الله يومئذ -يعني: يوم القيامة- يدل

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٢)، أبوداود: كتاب الإجارة، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَبِيعُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، رقم (٣٥٠٣).

على أن غيرهم ينظرون إلى الله -عز وجل-، ولو كان غيرهم لا ينظر إلى الله لم يكن بينهم وبين الفجار فرق، ومن ذلك قوله -تبارك وتعالى-: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فإن هذه الآية تدل على أن الله -تعالى- يرى بالأبصار، ودليل ذلك أنه نفى الإدراك، وهذا يدل على وجود أصل الرؤية، ولو كان أصل الرؤية غير ثابت ما صح أن ينفى الإدراك، ولا يصح أن يستدل بهذه الآية على امتناع رؤية الله -عز وجل-، لأن الآية إنما نفت ما هو أخص من الرؤية، وهو الإدراك، ونفي الأخص يستلزم وجوب الأعم، وهو الرؤية، والله -عز وجل- يرى يوم القيامة ولكن الأبصار لا تدركه، هذا بالنسبة لما جاء في القرآن.

أما السنة: فقد ثبت عن النبي ﷺ ثبوتًا متواترًا لا شك فيه إثبات رؤية الله -عز وجل- يوم القيامة، أي: إنه يرى -سبحانه وتعالى-.

فمن ذلك قوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبُوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**»[1] والأحاديث في هذا متواترة، كما قال بعض العلماء في نظم شيء من المتواتر:

مِمَّا تَواتر حديثُ مَنْ كَذَبْ ... ومن بنى لله بيتًا واحتَسَبْ
ورؤية شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذي بعض

هذا هو قول أهل السُّنَّة والجماعة: إن الله -سبحانه وتعالى- يرى يوم القيامة بالبصر رؤية حقيقية، لكنه مع هذه الرؤية لا يمكن إدراكه -عز وجل-، لأنه أعظم من أن تدركه الحواس أو الأفهام أو الخواطر.

ولكن يبقى النظر: متى تكون هذه الرؤية؟ نقول: هذه الرؤية تكون في عرصات القيامة -أي: قبل دخول الجنة- وتكون كذلك بعد دخول الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، باب (٥٥٤)، مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم (٦٣٣).

يبقى نظرٌ آخر: هل يراه كل الناس في عرصات القيامة أم ماذا؟ نقول:

أما الكفار الخلص فإنهم لا يرون الله -عز وجل-، لقول الله -تعالى-: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥].

وأما المنافقون فإنهم يرون الله في عَرَصات القيامة، ثم لا يرونه بعد ذلك، وهذا أعظم وأشد حسرة عليهم.

وأما المؤمنون فإنهم يرون الله -تعالى- في عرصات القيامة، كما يرونه بعد دخول الجنة. أسأل الله تعالى أن يجعلني وإخواني السامعين ممن ينظر إلى الله -عز وجل-، إنه على كل شيء قدير.

***

(١٢٠) يقول السائل: اختلاف السلف في العقيدة في مسألة رؤية النبي ﷺ لربه أم لا؟ نريد توجيهًا سديدًا في هذه المسألة مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القول الراجح في هذه المسألة أن النبي ﷺ لم ير ربه، لأنه نفسه -صلوات الله وسلامه عليه- سئل: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنَّى أراه»؟(١) وفي رواية: «رأيت نورًا»(٢). والله -عز وجل- قد احتجب عن عباده بحجب النور لا يمكن اختراقها، فإذا كان النبي ﷺ نفسه نفى أن يكون رأى الله، فلا يمكن بعد ذلك أن يدعي مدع أن النبي ﷺ رأى ربه، وما ذكر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى ربه، فقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن ابن عباس لم يصرح أن النبي ﷺ رأى ربه بعينه يقظة، وإن قوله -أي: ابن عباس- يعني: أنه رآه بفؤاده، وهو كناية عن العلم اليقيني الذي يكون في القلب حتى كأنه رآه بالعين». وما قاله شيخ الإسلام رحمه الله هو الحق، ولن يتمكن أحد في الدنيا أن يرى ربه يقظة أبدًا. ولهذا لما قال موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله -عليه السلام-: «نور أنى أراه»، رقم (١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله -عليه السلام-: «نور أنى أراه»، رقم (١٧٨).

شوقًا إلى الله -عز وجل-، قال الله له: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] فعلق الرب -عز وجل- على أمر مستحيل، لأنه يستحيل على الجبل أن يصمد على رؤية الله -عز وجل-، وهو جبل أصم، حجر غليظ قاسٍ، قال الله -تعالى-: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] انْدكَّ الجبل أمام موسى يشاهده بعينه، فصعق -عليه الصلاة والسلام- من هول ما رأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فشكر الله له وقال: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤] فالمهم أنه لا يمكن لأحد أن يرى الله -تبارك وتعالى- يقظة في الدنيا، ولن يستطيع أحد أن يَثْبُتَ لذلك.

أما في الآخرة: فقد دل القرآن، والسنة المتواترة، وإجماع الصحابة رضي الله عنهم أن الله تعالى يُرَى في الآخرة رؤية حقيقة بالعين، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وهذا صريح بأن الإنسان يرى ربه بعينه، إذ إن ما تحصل به الرؤية هو العين، وهي موجودة في الوجه، لكن أضاف الله -تعالى- النظر إلى الوجه، لأن هذه النظرة إلى الرب -عز وجل- يحصل بها سرور في القلب ونور في الوجه، حتى كأن الوجه كله ينظر إلى الله -عز وجل-، لتأثره بهذه النظرة التي أسأل الله -تعالى- أن لا يحرمني وإخواني منها.

ومن الأدلة على أن الله -تعالى- يرى في الآخرة قول الله -تعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى: هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله، كما فسرها بذلك أعلم الخلق بالله وآياته محمد رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

واستدل العلماء بقوله -تعالى- في أهل الجنة: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] وقالوا: إن هذا المزيد هو الزيادة التي ذكرت في الآية التي

سقناها الآن، وهو النظر إلى وجه الله -عز وجل-. واستدلوا أيضًا بقول الله -تبارك وتعالى- في الأبرار: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣] قالوا: إنهم ينظرون الله -عز وجل-، وينظرون ما أعد الله لهم من النعيم، لقوله في الفجار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فلما حجب الفجار في حال الغضب جعل النظر للأبرار في حال الرضا، فهذه أربع آيات من كتاب الله.

أما السنة عن رسول الله ﷺ الذي هو أعلم الخلق بالله، وأشدهم تنزيهًا لله - فقد تواترت السنة عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بثبوت رؤية الله -تعالى- في الجنة، حتى إن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال ذلك بوجه صريح أصرح من الشمس في رابعة النهار، حيث قال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته**»(١). وقال: «**إنكم سترون ربكم عيانًا، كما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب**»(٢).

وأما أقوال الصحابة: فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على ثبوت رؤية الله -تعالى- في الآخرة، فما منهم أحد قال ولا بحرف واحد: إن الله -تعالى- لا يرى في الآخرة، وهذه أقوالهم مأثورة في كتب السنة، ما منهم أحد نفى أن يرى الله -تعالى- في الآخرة، بل كلهم مجمعون على هذا، حتى إن بعض أهل العلم قال: من أنكر رؤية الله -تعالى- في الآخرة فهو كافر، لوضوح الأدلة فيها وصراحتها، وإجماع الصحابة عليها، وإجماع الأئمة المتبوعين عليها، ولم يرد عن أحد منهم إنكارها.

أسأل الله -تبارك وتعالى- لي ولإخواني النظر إلى وجه الله الكريم، وأسأل الله الهداية لمن أنكروا هذه الرؤية العظيمة التي هي ألذ ما يجده أهل الجنة في الجنة، والله على كل شيء قدير.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٥).

(١٢١) يقول السائل م. ط. م. أ. من الباكستان: ما هي أنواع الاستواء في لغة العرب؟ وكيف نثبت لله -سبحانه وتعالى- صفة الاستواء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الاستواء في اللغة العربية يأتي لازمًا، ويأتي متعديًا إلى المعمول بحرف الجر، ويأتي مقرونًا بواو المعية، فهذه ثلاثة وجوه للاستواء.

أما القسم الأول -وهو أن يأتي مطلقًا غير مقيد بالمعمول، ولا واو المعية-: فإنه يكون بمعنى الكمال، ومنه قوله -تعالى-: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] أي: كمل، ومنه قول الناس في لغتهم العامية: استوى الطعام، أي: كمل نضجه.

والقسم الثاني أو الوجه الثاني: أن يأتي مقرونًا بواو المعية، فيكون بمعنى التساوي، كقولهم: استوى الماء والخشبة، أي: تساويا.

والقسم الثالث: يأتي معدًّى بحرف الجر، فإن عُدِّيَ بعلى صار معناه العلو والاستقرار، وإن عُدِّيَ بِإلَى فقد اختلف المفسرون فيه، فمنهم من يقول: إنه بمعنى الارتفاع والعلو، ومنهم من يقول: إنه بمعنى القصد والإرادة. مثال ما عُدِّيَ بِعَلَى قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله ذلك في سبعة مواضع في القرآن الكريم.

ومثال المعدى بِإلَى قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، ولذلك اختلف المفسرون في الاستواء، استوى هنا، فبعضهم قال: معناها علا إلى السماء، ومنهم من قال: معناها قصد وأراد، وعلى كل فاستواء الله على العرش من الصفات الثابتة التي يجب على المؤمن أن يؤمن بها، وهو أن الله -تعالى- استوى على عرشه، أي: علا عليه علوًّا خاصًّا ليس كعلوه على سائر المخلوقات، بل هو علو خاص

بالعرش، كما قال -تعالى-: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] ولكن هذا الاستواء ليس معلومًا لنا في كيفيته، لأن كيفيته لا يمكن الإحاطة بها، ولم يخبرنا الله عنها ولا رسوله، ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق برأسه حتى علاه العرق، ثم قال: «**الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**»، ونحن نعلم معنى الاستواء ونؤمن به ونُقِرُّهُ، وهو أنه -سبحانه وتعالى- علا على عرشه واستوى عليه، علوًّا واستقرارًا يليق به -سبحانه وتعالى-، ولكننا لا نعلم كيفية هذا الاستواء، فالواجب علينا أن نمسك عن الكيفية، وأن نؤمن بالمعنى.

وأما قول من قال: إن معنى ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: استولى عليه، فهذا قول لا يصح، وهو مخالف لما كان عليه السلف، ولما تدل عليه هذه الكلمة في اللغة العربية، فلا يعوَّل عليه، بل هو باطل، ولو كان معنى استوى استولى للزم أن يكون الله -تعالى- مستوليًا على شيء دون شيء، وهو -سبحانه وتعالى- مستولٍ على كل شيء، ولَلَزِم أن يكون العرش قبل هذا ليس مِلكًا لله بل مِلكًا لغيره، ثم استولى عليه من غيره، وهذه معان باطلة لا تليق بالله -سبحانه وتعالى-.

***

(١٢٢) يقول السائل من السودان: هذا سؤالٌ يحيرني وأرجو الإفادة عليه، وهو: إن بعض الناس يقولون بأن الله فوق في السماء، وعندنا في السودان علماء التوحيد يقولون بأن الله كان ولا مكان، وهو منزهٌ عن الجهات الست، طبعًا شرق، وغرب، وشمال، وجنوب، فوق، تحت، نرجو منكم التوجيه حول هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: علو الله -عز وجل- على خلقه ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة، فأدلته متنوعة، كل الأدلة الممكنة في إثبات الشيء تدل على أن الله تعالى فوق عباده.

أما من القرآن فأدلة ثبوت علو الله على خلقه كثيرةٌ جدًا متنوعة، مثل قوله -تعالى-: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرةً.

وكذلك الآيات الدالة على أن الأشياء تصعد إليه، كما في قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وكذلك الآيات الدالة على أن الشيء ينزل من عنده، كما قال الله -تعالى-: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

وأما السنة فقد دلت بجميع أنواعها على علو الله، دلت بالقول والفعل والإقرار.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلى»(١)، وخطب الناس في يوم عرفة وقال: «هل بلغت؟ قالوا: نعم. فأشار إلى السماء يقول: اللهم اشهد»(٢)، وسأل جاريةً قال: «أين الله؟ قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة»(٣) فاجتمع من السُّنَّة القول والفعل والإقرار على علو الله -عز وجل-، وأنه فوق كل شيء.

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة، وأئمة الهدى من بعدهم، على أن الله -تعالى- فوق كل شيء، ولم يرد عنهم حرفٌ واحد في نفي علو الله -عز وجل-، بل كانوا مجمعين على أن الله -تعالى- فوق كل شيء.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم (٧٧٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب الخطبة في منى، رقم (١٧٤١)، مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

وأما العقل: فإن كل إنسان يعلم بعقله أن العلو صفة كمال، وأن الرب -عز وجل- له صفة الكمال المطلق، فإذا كان العلو صفة كمال فإن فوات العلو صفة نقص، والله -عز وجل- منزهٌ عن النقص، فوجب أن يثبت له العلو، لأنه صفة كمال.

وأما الفطرة: فما من أحدٍ يقول: يا رب، إلا وجد من قلبه ضرورةً بطلب العلو، ولهذا يرفع يديه إلى السماء، واسألوا الذين يسألونه ويدعونه: أين يوجهون أيديهم؟ هل يوجهونها إلى الأرض أو إلى السماء؟ أو إلى اليمين أو إلى الشمال؟ إنهم يوجهونها جميعًا إلى السماء، وهذا أمرٌ فطري لا يختلف فيه اثنان، إلا من اجتالته الشياطين عن الفطرة، وأنكر هذا الأمر الذي فطر عليه الخلق.

وإذا كان كذلك فإننا نقول: إن الله كان -عز وجل- كان ولم يكن شيء قبله، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، وكان عاليًا -عز وجل- قبل أن يخلق العرش، ولما خلق السموات والأرض استوى على العرش، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فكان استواء الله على عرشه بعد خلقه.

وهنا نقول: استواء الله على عرشه حين خلق السموات والأرض تدل الآية الكريمة أنه لم يكن، أما قبل ذلك فالله أعلم، وأما بعد ذلك -أي: بعد خلق السموات والأرض- فإن الآية تدل على أن الله استوى على عرشه. وأما قولهم: إن الله -تعالى- منزه عن الجهات الست، فهذا غاية التعطيل والعياذ بالله، لأنهم إذا قالوا: إن الله ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف، فإن هذا هو العدم المحض والتعطيل المحض، أين يكون؟

وإذا قلنا: إن الله -تعالى- في جهة العلو، العلو الذي ليس فوقه شيء، فليس في هذا من نقصٍ في حق الله -عز وجل-، لأن العلو على جميع المخلوقات ليس فيه شيء من المخلوقات يمكن أن نقول: إنه محاذٍ لله -عز وجل-، بل كل شيء من المخلوقات فإن الله -عز وجل- فوقه، ولا يحاذي الله -عز وجل- شيئًا من مخلوقاته، وعين النقص في إثبات مثل ذلك.

وأين الوجود إذا قلنا: إن الله -تعالى- خالٍ من الجهات الست؟ نعم نقول: إنه لا يمكن لجهة أن تحيط بالله، لأن الله -تعالى- محيطٌ بكل شيء، ولا يحيط به شيء من مخلوقاته، فإذا كان فوق كل شيء فإن ما فوق الأشياء ليس أمرًا وجوديًا حتى نقول: إن هذا يقتضي أن يشارك المخلوق الخالق في علوه -عز وجل-، والواجب على الإنسان أن يؤمن إيمانًا قطعيًا بأن الله -تعالى- فوق كل شيء، وأنه العلي الأعلى، وأنه -سبحانه وتعالى- له العلو المطلق: علو الذات، وعلو الصفات، بدلالة الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل والفطرة على ذلك.

***

(١٢٣) يقول السائل ت. إ. سوداني ومقيم بالمملكة يقول: أستفسر عن **الآيات الكريمة التالية، يقول** -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] **والآية الأخرى:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] **يقول: من الناس مَنْ يقول إن الله موجود في السماء، والبعض يقول إن الله موجود في كل مكان. اشرحوا لنا ذلك مأجورين.**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه مسألة عظيمة مهمة، وذلك أن الله -سبحانه وتعالى- وصف نفسه بأنه العلي، وأنه الأعلى، وأنه القاهر فوق عباده، وأن الأمور تتنزل من عنده وتعرج إليه، وأنه في السماء، وكل هذا يدل على علوه -جل وعلا-، وأنه فوق كل شيء. فأما قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] فالمراد بذلك الألوهية، لا ذات الرب -عز وجل-، فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] فالمراد بذلك أن ألوهيته ثابتة في السماء وفي الأرض، فقول القائل: فلان أمير في المدينة وفي مكة، مع أنه في إحداهما وليس فيهما جميعًا، وإنما إمرته ثابتة في المدينة وفي مكة، فالله -تعالى- إله مَنْ في السماء وإله مَنْ في الأرض، وأما هو نفسه -جل وعلا- ففوق سمواته على عرشه، وعلى هذا فلا

منافاة بين هذه الآية وبين قول الله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ومعنى قوله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أي: إنه علا على العرش، لأن استوى في اللغة العربية إذا عُدِّيَتْ بِعَلَى صار معناها العلو، كقوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] أي: علوت، وقوله -تعالى-: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣] -أي: تعلوا على ظهوره- ﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الزخرف: ١٣] أي: علوتم عليه، فهو -سبحانه تعالى- مستوٍ على العرش أي: عالٍ عليه، وهذا العلو ليس هو العلو العام لجميع المخلوقات، بل هو علو خاص مختص بالعرش، ولهذا يقال: استوى على العرش، ولا يقال: استوى على السماء، ويقال: علا على العرش وعلا على السماء، فالاستواء على العرش علو خاص ليس هو العلو العام لجميع المخلوقات.

وقد أخطأ وضل من فسر الاستواء هنا بالاستيلاء والملك من عدة أوجه:

الوجه الأول: أنه مخالف لمقتضى اللغة العربية، فلم تأتِ استوى على كذا بمعنى استولى عليه في اللغة العربية، وها هو كلام العرب بين أيدينا لا نعلم أنَّ منهم من عبر عن الاستيلاء بالاستواء أبدًا، فأما ما قيل:

قد استوى بِشرٌ على العراق من غير سيف أو دم مهراق

فإننا نطالب أولًا بصحة النقل عن شاعر عربي من العرب الخُلَّص، ولا يمكن لأحد أن يثبت ذلك، ثم على فرض أنه ثبت عن شاعر عربي من العرب الخُلَّص فإنَّ هنا قرينةً تمنع أن يكون المراد بذلك العلو على العراق، لأن الرجل لا يمكن أن يعلو على العراق علوًّا ذاتيًا، وحينئذ يكون المراد به العلو المعنوي وهو الاستيلاء، أما علو الله -تعالى- نفسه على عرشه فلا مانع منه لا عقلًا ولا سمعًا. ثانيًا: أن نقول: إن تفسير الاستواء بالاستيلاء مخالف لما كان عليه

السلف الصالح وأئمة الخلف، فإنهم مجمعون على أن استوى على العرش بمعنى علا عليه، ولم يأت عن أحد منهم حرف واحد يدل على أنهم فسروا الاستواء بالاستيلاء، ومعلوم أن مخالفة السلف ضلال وخروج عن جماعة الحق.

ثالثًا: أنه يلزم على تفسير ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] استولى عليه أن يكون العرش قبل هذا ملكًا لغير الله، وأن الله -تعالى- بالمعالجة حصل عليه من غيره، وهذا لازم باطل بطلانا شديدًا.

رابعًا: أننا إذا فسرنا استوى باستولى لجاز أن نقول: إن الله استوى على الأرض، وعلى الإنسان، وعلى الجمل، وعلى السفينة، وعلى كل شيء، لأنَّ الله -تعالى- مستولٍ على كل شيء ومالكٌ له، ومعلوم أنه لا أحد يُسَوِّغ أن يقول القائل: إن الله استوى على الإنسان، أو على الأرض، أو ما أشبه ذلك.

خامسًا: إنَّ الذين فسروه بالاستيلاء مضطربون ومختلفون، واضطراب أهل القول فيه يدل على عدم رسوخه وعدم صحته، وعلى هذا فلا يحل لأحدٍ أن يفسر قول الله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أو قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] بأن المعنى استولى عليه من أجل هذه الوجوه التي ذكرناها، فالاستواء على العرش يلزم منه العلو المطلق على جميع المخلوقات، وأن الله -تعالى- عال بنفسه على جميع المخلوقات، ولا يعارضه ما ذكره السائل من قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] لما ذكرنا في صدر الجواب.

ونظير هذه الآية -أعني قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]- قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣] فقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] وليس المعنى أنه نفسه في السموات وفي الأرض، ولكن المعنى: أن ألوهيته ثابتة في السموات وفي الأرض.

وليعلم أن اعتقاد أن الله -تعالى- نفسه في كل مكان اعتقاد باطل، لو شعر الإنسان بلوازمه الباطلة ما تفوه به، لأنه يلزم من هذا القول أن يكون الله -تعالى- في كل مكان من الأماكن الطيبة والأماكن الخبيثة، بل لَلَزِمَ منه أن يكون الله -تعالى- في أجواف الحيوانات وأجواف الناس وما أشبه ذلك، ثم يلزم من هذا أحد أمرين: إما أن يتعدد بتعدد الأمكنة، وإما أن يكون متجزئًا بعضه هنا وبعضه هناك، وكل هذه لوازم فاسدة، تصورها كاف في ردها وإفسادها.

ومَنْ قال: إن الله -تعالى- نفسه في كل مكان، فهو ضال مبتدع ما قَدَر الله حق قدره، ولا عرف عظمته -جل وعلا-، وكيف يكون في كل مكان وهو الذي قد وسع كرسيه السموات والأرض؟ ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] فليتق الله قائل هذا، وليتب إلى ربه قبل أن يدركه الموت على هذه العقيدة الفاسدة، ويلقى ربه على خبث العقيدة وفساد الطوية، نسأل الله السلامة.

***

(١٢٤) يقول السائل ع. أ. من بيروت لبنان: إنه سمع إجابة عن سؤال في برنامجنا هذا: أين الله؟ فأجيب: بأنه في السماء، واستشهد المجيب على ذلك بآيات من القرآن الكريم، منها قوله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ولكن يبدو أن هذا الأخ قد استشكل هذه الإجابة، ولم تطابق مفهومه الذي كان يعتقده، فأرسل يستفسر حول ذلك، فهل توضحون له الحقيقة حول هذا الموضوع؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحقيقة حول هذا الموضوع أنه يجب على المؤمن أن يعتقد أن الله تعالى في السماء، كما ذكر الله ذلك عن نفسه في كتابه، حيث قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾

[الملك: ١٧] وكما شهد بذلك رسول الله ﷺ، حين أقر الجارية التي سألها: «**أين الله؟ قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة**»[(١)]، وكما أشار إلى ذلك ﷺ في أعظم مجمع من أمته يوم عرفة، حين خطب الناس خطبته الشهيرة فقال: «**ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد**» وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس.[(٢)].

فهذا دليل من القرآن ومن السنة على أن الله في السماء. وكذلك دليل العقل أن الله في السماء، فإن السماء علو، والعلو صفة كمال، والرب -سبحانه وتعالى- قد ثبت له صفة الكمال، فكان العلو من كماله -تبارك وتعالى-، فثبت له ذلك عقلًا.

كذلك في الفطرة: فإن الناس مفطورون على أن الله -تعالى- في السماء، ولهذا يجد الإنسان من قلبه ضرورة لطلب العلو حينما يسأل الله شيئًا، حينما يقول: يا رب، لا يجد في قلبه التفاتًا يمينًا ولا يسارًا ولا أسفل، وإنما يتجه قلبه إلى العلو، بمقتضى الفطرة التي سلمت من اجتيال الشياطين، وما من أحد يصلي فيقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى، إلا وهو يشعر بأن الله -تعالى- في السماء. وقد انعقد إجماع السلف على ذلك، كما ذكر ذلك الأوزاعي وغيره.

وعلى هذا فيكون الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل والفطرة، كل هذه الأدلة قد تطابقت على أن الله -تعالى- في السماء، وأنه -جل وعلا- عالٍ بذاته كما أنه عالٍ بصفاته.

ولكن يجب أن يعلم أن كونه في السماء لا يعني أن السماء تظله وأنها محيطة به، فإن الله -تعالى- أعظم من أن يظله شيء من خلقه، وهو -سبحانه وتعالى- غني عما سواه، وكل شيء مفتقر إليه -سبحانه وتعالى-، وهو الذي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فلا يمكن أن تظله السماء، وعلى هذا فيزول المحظور الذي أظن أنه قد شبه على هذا السائل، بأنه إذا قلنا بأن الله في السماء لزم أن تكون السماء مظلة له -عز وجل-، وليس الأمر كذلك.

فإن قال قائل: قوله: في السماء، قد يفهم أن السماء تحيط به، لأن (في) للظرفية، والمظروف يكون الظرف محيطًا به.

فالجواب: أن ذلك ليس بصحيح، لأن السماء بمعنى العلو، وأن السماء بمعنى العلو قد ورد في القرآن، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البقرة: ٢٢]، والماء ينزل من السحاب، والسحاب مسخر بين السماء والأرض، فيكون معنى قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٢] أي: أنزل من العلو، ويكون معنى قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] أي: من في العلو.

وهناك وجه آخر بأن نجعل (في) بمعنى (على)، ونجعل السماء هي السماء السقف المحفوظ، ويكون معنى ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] أي: من على السماء، وإذا كان عاليًا عليها فلا يلزمها أن تكون محيطة به، ولا يمكن أن تكون محيطة به.

(وفي) تأتي بمعنى (على)،كما في قوله -تعالى-: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ [النحل: ١٥] أي: على الأرض، وكما في قوله -تعالى- عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: على جذوع النخل، بكل هذا يزول الإشكال والوهم الذي قد يعتري من لم يتدبر دلالة الكتاب والسُّنَّة في هذه المسألة العظيمة.

ولا ريب أن من أنكر أن الله في السماء فهو مكذب بالقرآن والسنة وإجماع السلف، فعليه أن يتوب إلى الله -عز وجل-، وأن يتدبر دلالة الكتاب والسُّنَّة على وجه مجرد عن الهوى، ومجرد عن التقليد، حتى يتبين له الحق، ويعرف أن الله -عز وجل- أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

أما قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فإن الاستواء بمعنى العلو، كما في قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ [الزخرف: ١٣] أي: تعلو عليها.

وكما في قوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] أي: علوت. فالاستواء في اللغة العربية بمعنى العلو، ولا يرد بمعنى الاستيلاء والملك أبدًا، ولو كان هذا صحيحًا لبيَّنَهُ الله -عز وجل- في القرآن ولو في موضع واحد، والاستواء على العرش ذكر في القرآن في سبعة مواضع، ما فيها موضع واحد عبر عنه بالاستيلاء أبدًا، ولو كان بمعنى الاستيلاء لعبر عنه في بعض المواضع حتى يحمل الباقي عليه.

وليس في سنة رسول الله ﷺ حرف واحد يدل على أن الاستواء -أي: إن استواء الله على عرشه- بمعنى استيلائه عليه، وليس في كلام السلف الصالح والأئمة أن استواء الله على العرش بمعنى استيلائه عليه، والمعروف عنهم أنه بمعنى العلو والاستقرار والارتفاع والصعود، هكذا نقل عن السلف، وعلى هذا فيكون المعنى الصحيح لقوله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وما أشبهها من الآيات، أي: الرحمن على العرش علا علوًّا خاصًّا يليق بجلاله -تبارك وتعالى-، ولا يستلزم ذلك أن يكون الله -تعالى- محتاجًا إلى العرش، بل إنه لا يقتضي ذلك أبدًا، فإنه قد علم أن الله -تعالى- غنيٌّ عما سواه، وأن كل ما سواه محتاج إليه.

فنرجو من الأخ السامع للجواب، الأول أن يرد إليه هذا الجواب حتى يتبين له الحق، بأن يجرد نفسه قبل كل شيء من التقليد، حتى يكون قلبه سليمًا على الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

***

(١٢٥) **يقول السائل**: ما حكم الخوض في ذات الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يمكن الخوض في ذات الله -عز وجل-،

لأن الوصول إلى معرفة حقيقة ذات الله -عز وجل- مستحيلة، ومن رَام ذلك فقد يقع في هلاك وشقاء.

نعم يفكر ويتأمل في أسماء الله وصفاته، كما قال -عز وجل-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

***

(١٢٦) يقول السائل: لقد سمعت بيتًا لأحد السلف الصالح، ولكنه التَبَس عليَّ الشطر الأخير وشككت فيه من الناحية العقائدية، فأرجو من فضيلة الشيخ أن يُبيِّنَ لي معنى هذا البيت، وهل هو صحيح من ناحية الاعتقاد أم لا؟ البيت هو:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوتُ ولكن قل علي رقيب

إلى أن قال:

ولا تحسبن الله يغفل طرفةً ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذان البيتان صحيحان، فإذا خلا الإنسان يومًا من الدهر فلا يقل: إني خلوت، لأن عليه رقيبًا من الله -عز وجل-، كما قال الله -عز وجل-: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] فالإنسان مهما اختفى عن الناس فإنه لن يخفى على الله، كما قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، ولا تظن أنك إذا اختفيت فإن الله -سبحانه وتعالى- يغفل عنك أو لا يعلم بك، فإن الله -تعالى- يقول: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

فهو -سبحانه وتعالى- محيطٌ بكل شيء عِلمًا، يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، ويعلم ما ظهر وما بطن.

***

(١٢٧) يقول السائلان: ع. م. أ. الرياض منظور، و أ. ق. أ. ح: يوجد بطاقات مكتوب عليها أسماء الله -جل جلاله-، مثل هذه الصورة التي بجانب الرسالة -وقد ضمنوا هذه الرسالة صورة لكسوة الكعبة، وعليها آيات من كتاب الله المبين- يقول: تُرمى في الأرض من قبل ناس لا يعرفون الإسلام، يقول: هذه فقط إشارة، وما تنصحون الباعة بذلك، أو من يهمه الأمر بذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه المسألة كثرت في الناس على أوجه متعددة، منها بطاقات تحمل لفظ الجلالة الله وأخرى إلى جانبها تحمل لفظ محمد، ثم توضع البطاقتان متوازنتين على الجدار أو على لوحة أو ما أشبه ذلك، ونحن نتكلم على هذه الصورة.

أولًا: ما فائدة تعليق كلمة الله فقط ومحمد فقط؟ إذا كان الإنسان يظن أنه يستفيد من ذلك بركة فإن البركة لا تحصل بمثل هذا العمل، لأن هذا ليس بجملة مفيدة تكسب مَعْنًى يمكن أن يحمل على أنه للتبرك، ثم إن التبرك بمثل هذا لا يَسُوغُ، لأن التبرك بالله وأسمائه لا يمكن أن يستعمل إلا على الوجه الذي ورد، لأنه عبادة، والعبادة مبناها على التوقيف.

ثم إن هذا الوضع الذي أشرنا إليه سابقًا: أن توضع كلمة الله وبجانبها موازيةً لها كلمة محمد، هذا نوع من التشريك والموازنة بين الله وبين الرسول ﷺ، وهذا أمر لا يجوز، وقد قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال النبي ﷺ: «**أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده**»(١)، ثم إن التبرك بمجرد وضع اسم النبي ﷺ لا يجوز، التبرك إنما يكون بالتزام شريعة النبي ﷺ والعمل بها.

هذه صورة مما يستعمله الناس في هذه البطاقات، وقد تبين ما فيها من مخالفة للشرع.

---

(١) تقدم تخريجه.

أما بالنسبة للصورة الثانية التي أشار إليها الأخ السائل: فجوازها محل نظر، وذلك لأن الأصل في كتابة القرآن على الأوراق والألواح الجواز، لكن تعليقه أيضًا على الجدران في المنازل لم يرد ذلك عن السلف الصالح -رحمهم الله-، لا عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ولا عن التابعين، ولا أدري بالتحديد متى حصلت هذه البدعة، هذا في الحقيقة بدعة، لأن القرآن إنما نزل لِيُتْلَى لا لِيُعَلَّقَ على الجدران وغيرها، ثم إن في تعليقه على الجدران مفسدة، أضف إلى ذلك أنه لم يرد عن السلف، وتلك المفسدة هي أن يعتمد الإنسان على هذا الْمُعَلَّق، ويعتقد أنه حرز له، فيستغني به عن الحرز الصحيح، وهو التلاوة باللسان، فإنها هي الحرز النافع، كما قال النبي ﷺ في آية الكرسي: «**من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح**»(1)، فالإنسان إذا شعر أن تعليق هذه الآيات على الجدران مما يحفظه، فإنه سيشعر باستغنائه بها عن تلاوة القرآن، ثم إن فيها نوعًا من اتخاذ آيات الله هزوًا، لأن المجالس لا تخلو غالبًا من أقوال محرمة من غيبة أو سباب وشتم، أو أفعال محرمة، وربما يكون في هذه المجالس شيء من آلات اللهو التي حرمها الشرع، فتوجد هذه الأشياء والقرآن معلق فوق رؤوس الناس، فكأنهم في الحقيقة يسخرون به، لأن هذا القرآن يحرم هذه الأشياء، سواء كانت الآية المكتوبة هي الآية التي تحرم هذه الأشياء أو آية غيرها من القرآن، فإن هذا بلا شك نوع من الاستهزاء بآيات الله.

لذلك ننصح إخواننا المسلمين بالابتعاد عن استعمال مثل هذه التعليقات، لا بالنسبة لاسم من أسماء الله أو أسماء الرسول ﷺ، أو آيات من القرآن، ويستعملوا ما استعمله سلفهم الصالح، فإن في ذلك الخير والبركة.

بالنسبة لما أشار إليه الأخ من أن هذه البطاقات التي يكتب عليها القرآن

---

(١) تقدم تخريجه.

ترمى في الأسواق، وفي الزبل وفي مواطئ الأقدام، فهذا أيضًا لا يجوز، لما فيه من امتهان القرآن الكريم، لكن المخاطب بذلك من هي في يده، إلا أن الباعة الذين يبيعونها إذا علموا أن هذا يفعل بها غالبًا يكون ذلك موجبًا لتحريم بيعها والاتجار بها، لأن القاعدة الشرعية: «**أنه إذا كان العقد وسيلة لازمة أو غالبةً إلى شيء محرم فإن ذلك العقد يكون حرامًا**»، لأنه من باب التعاون على الإثم والعدوان، وأظن أن الإجابة على السؤال انتهت.

أما بالنسبة لتعليق القرآن على المرضى، سواء كانت أمراضهم جسدية أو نفسية للاستشفاء بها، فإن هذه موضع خلاف بين السلف والخلف، فمن العلماء من يجيز ذلك، لما يشعر به المريض من راحة نفسية، حيث إنه يحمل كلام الله -عز وجل-، وشعور المريض بالشيء له تأثير على المرض زيادةً ونقصًا وزوالًا كما هو معلوم.

ومن العلماء من قال: إنه لا يجوز، وذلك لأنه لم يرد عن النبي ﷺ أن يستعمل مثل ذلك للاستشفاء، وإنما الاستشفاء بقراءة ما ورد على المريض، وإذا كان لم يرد عن الشارع أن هذا سببٌ فإن إثباته سببًا نوع من الشرك، ذلك لأنه لا يجوز أن نثبت أن هذا الشيء سبب إلا بدليل من الشرع، فإذا أثبتنا سببيته فمعنى ذلك أننا أحدثنا أمرًا لم يكن في الشرع، وهذا نوع من الشرك.

***

(١٢٨) يقول السائل م. أ. أ. من القصيم: أسأل عن قوله -تعالى- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] لأنني قرأت بعض التفاسير، وخشيت أن يكون في بعضها ما يخالف مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وكذلك في قوله -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] نريد الجواب الشافي؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أحب أن أُنَبِّهُ على قول السائل: إنه يسأل عن

قوله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، فإن ظاهر لفظه أن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من مقول الله، والذي ينبغي إذا أراد أن يستعيذ الإنسان بالله من الشيطان الرجيم أن يقدمها على قول الله، فيقول مثلًا: أسأل عن هذه الآية ثم يذكرها، أو يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ما معنى قوله -تعالى- كذا وكذا.

وأما بالنسبة لسؤاله: فإن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أن يوصف الله -تعالى- بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، بدون تحريف، بل يُجْرَى الكلام على ظاهره، لأن المتكلم به -وهو الله -عز وجل- أعلم بنفسه من غيره، ولأنه -تبارك وتعالى- أصدق القائلين، وكلامه أفصح الكلام وأبينه، ومراده -عز وجل- من عباده أن يهتدوا ولا يضلوا، وكذلك رسول الله ﷺ هو أعلم الناس بربه، وكلامه أصدق كلام الخلق وأفصحه، ومراده ﷺ هداية الخلق دون ضلالهم، وهذه الصفات الأربع: العلم، والصدق، والفصاحة، وإرادة الخير، إذا توافرت في كلام فقد بلغ الغاية في وجوب الأخذ بمدلوله على ظاهره، ولا يجوز أن يحرف إلى غير الظاهر.

وبناء على هذه القاعدة العظيمة نقول: إن كل ما وصف الله به نفسه من الصفات فهو حق على ظاهرها، ففي الآية الأولى التي ذكرها قال الله -تبارك وتعالى- عن المنافقين: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] قال الله -عز وجل- ذلك ليبين أن خداعهم ومكرهم دون خداع الله -تعالى- لهم ومكره بهم، فهو كقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] والخداع ليس وصفًا مطلقًا بالنسبة لله، ولكنه وصف في مقابلة من يخادعونه، ليبين أنه -عز وجل- أقدر منهم على الخداع والمكر، وهذا لا شك يدل على القوة وعلى ضعف المقابل، وليس به أي نقص يتوجه إلى الله -عز وجل-، ولهذا نرى الناس إذا أرادوا أن يخدعوا شخصًا فعرف خَدَاعهم وخادعهم علموا أنه أقوى منهم وأشد، فالخداع في مقابلة المخادع صفة كمال وليست صفة نقص.

ويُذْكَر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بارز عمرو بن وُدٍّ وخرج إليه عمرو قال علي: إني لم أخرج لأبارز رجلين. فالتفت عمرو يظن أنه قد لحقه آخر، فلما التفت ضربه عليٌّ حتى أهلكه، فهذا من الخداع الجائز، لأن عمرو بن ود إنما خرج من أجل أن يقتل عليًّا رضي الله عنه، والحرب خدعة، فخدعه علي رضي الله عنه بهذه الكلمة حتى قضى عليه، ويعد هذا من قدرة علي رضي الله عنه وقوته في خداع خصمه.

ولهذا نقول: إن الخداع والاستهزاء والمكر والكيد الذي وصف الله به نفسه إنما يوصف الله به في مقابل من فعل ذلك، لا على سبيل الإطلاق.

ولهذا ننبه على مسألة يقولها بعض العامة، يقولون: خان الله من يخون، فيظنون أن الخيانة مثل الخداع، وهذا ليس بصحيح، لأن الخيانة خداع في غير موضعه، ومكر في غير موضعه، فلا يجوز أن يوصف الله بها، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١] ولم يقل: فخانهم، لأن الخيانة وصف لا يليق بالله -تعالى- مطلقًا، لأنه مذموم على كل حال.

يقول السائل: فضيلة الشيخ: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية كما قلنا في الآية الأولى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وكما أشرنا إلى آية ثالثة: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وإلى آية رابعة: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

***

(١٢٩) يقول السائل: **مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أن كل صفة من صفات الله التي أثبتها لنفسه نثبتها له من غير تأويل ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل، فكيف نفسر الآيات الكريمات، الآية الأولى:** ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ

خَٰدِعُهُمۡ ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ [البقرة: ١٥]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مذهب السلف الصالح الذي عليه الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين من بعدهم هو: أن الله -تعالى- يوصف بما وصف به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم-، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تَكْيِيف، ولا تَمْثِيل. وهذا هو المذهب الحق الذي دل عليه السمع والعقل، أي: دل عليه الشرع والعقل، وذلك لأن صفات الله -سبحانه وتعالى- مجهولة لنا، لا نعلم منها إلا ما أخبرنا الله به عن نفسه، وما أخبرنا به عن نفسه فهو حق، لأنه خبر صادق ممن هو أعلم بنفسه من غيره، ولأننا لا ندرك ما يجب لله -تعالى- وما يجوز وما يستحيل عليه على وجه التفصيل إلا عن طريق الكتاب والسُّنَّة، وعلى هذا فما وصف الله به نفسه وجب علينا قبوله والإيمان به، لكننا لا نحيط به على وجه الحقيقة، بمعنى: أننا لا ندرك كيفيته، فمثلًا: استواء الله على عرشه أثبته الله -تعالى- لنفسه في سبعة مواضع من كتابه العزيز، فنحن نعلم عن الاستواء على الشيء أنه العُلُوُّ عليه، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣]، ولكننا لا نعلم كيفية استواء الله -تعالى- على عرشه، يعني: لا نعلم على أي صفةٍ هو، ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عليه عن ذلك، فقال له رجل: يا أبا عبدالله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى جعل يتصبب عرقًا من شدة ما سمع من السؤال وهيبته وتعظيمه لله -عز وجل-، ثم قال: «**الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**» يعني: أن الاستواء غير مجهول في اللغة العربية، بل هو معلوم، فإن اللغة العربية تدل على أن استوى على الشيء بمعنى علا عليه، والقرآن نزل باللغة العربية، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ

ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣] أي: صيرناه باللسان العربي من أجل أن تَعْقِلُوه وتفهموه.

فقوله رحمه الله: الاستواء غير مجهول، أي: معلوم المعنى واضح المعنى.

والكيف غير معقول، أي: إن عقولنا أقصر وأحقر من أن تدرك كيفية استواء الله على عرشه، وهكذا بقية الصفات لا يمكن لعقولنا القاصرة أن تدرك كيفيتها.

والإيمان به واجب، أي: الإيمان بالاستواء على ما تقتضيه اللغة العربية واجب، لأن الله أخبر به عن نفسه، فوجب علينا قبوله والإيمان به.

والسؤال عنه -أي: عن كيفيته- بدعة، أي: إنه من دَيْدَنِ أهل البدع، وهو أيضًا بدعة لكون الصحابة لم يسألوا عنه رسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

فالقاعدة العريضة للسلف الصالح وأئمة المسلمين هي: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

واعلم أن صفات الله -تعالى- تنقسم إلى قسمين: قسم كمال مطلق بكل حال، فهو يوصف الله به وصفًا مطلقًا على كل حال، كالسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والكلام، وما أشبهها.

وقسم آخر لا يكون كمالًا على كل حال، لكنه كمال في موضعه، كالآيات التي ذكرها السائل، فإن الله لا يوصف بها مطلقًا، أي: على سبيل الإطلاق، وإنما يوصف بها حيث تكون كمالًا، كما سيتبين إن شاء الله من الكلام على كل آية وحدها.

فقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥] أي: المنافقين، لأن المنافقين ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] أي: مستهزئون بالمؤمنين حيث نقول لهم: إننا آمنا، وهم لم يؤمنوا، فقال الله -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، فقابل استهزاءهم بالمؤمنين باستهزائه -تبارك وتعالى- بهم، وذلك حيث مَكَّن لهم وأمهلهم واستدرجهم من حيث لا يعلمون، فهذا استهزاء في مقابلة استهزاء، واستهزاء الله -تعالى- أعظم وأكبر من استهزائهم بالمؤمنين.

والآية الثانية: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] وهذه أيضًا في المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وفي آية أخرى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩] والمخادعة وصف محمود إذا وقع في محله، ولهذا قيل: الحرب خدعة، فهؤلاء المنافقون يخادعون الله والذين آمنوا، ويَغُرُّونَهُم، ويرونهم أنهم مؤمنون -وهم غير مؤمنين- خداعًا ومكرًا وكيدًا، فيقول الله -عز وجل-: إن الله خادعهم، وذلك بإمهاله لهم واستدراجه لهم وحقن دمائهم ومعاملتهم معاملة المسلمين، لكنه -عز وجل- سيريهم العذاب الأليم حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، وهذا لا شك خداع بهم، حيث يعاملهم -سبحانه وتعالى- معاملة الرضا وهم على العكس من ذلك.

الآية الثالثة: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦] إنهم يعني: المكذبين للرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، يكيدون للنبي ﷺ كيدًا عظيمًا، ولكن الله تعالى يكيد بهم كيدًا أعظم.

وتأمل قوله: ﴿يَكِيدُونَ﴾ حيث أتى بصيغة الجمع ﴿وَأَكِيدُ﴾ حيث أتى بصيغة الإفراد، فإن كيد الله -تعالى- أعظم من كيدهم جميعا مهما بلغت.

والكيد والمكر متقاربان، ومعناهما: الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر، يعني: أن يوقع الإنسان بخصمه من حيث لا يشعر به، وقد كاد الله تعالى لنبيه ﷺ مع هؤلاء المشركين المكذبين به كيدًا عظيمًا، كما هو معلوم من قراءة سيرة النبي -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم-.

وفي الآية الأخيرة: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] هذه أيضًا كقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٦] يعني: أن الكفار يمكرون بأولياء الله -عز وجل-، ولكن الله تعالى يمكر بهم، فيقابلهم بما هو أعظم وأشد من مكرهم، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] أي: أعظمهم وأشدهم. والمكر -كما قلت آنفًا- هو الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر، فهو دليل على القوة والعلم والقدرة، فيكون في مقابلة الفاعل صفة مدح وكمال، لكن لا يوصف الله -تعالى- بأنه ماكر على سبيل الإطلاق، أو بأنه خادع، أو بأنه كائد، أو بأنه مستهزئ على وجه الإطلاق، بل يقال: إنه -سبحانه وتعالى- ماكر بمن يمكر به، ومستهزئ بمن يستهزئ به، وهكذا.

۞۞۞